﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: 253]

۞ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مُناسَبَةُ الآيةِ لما سَبَقَ هيَ بَيانُ تَكرارِ سُنَّةِ المُدافَعَةِ بَينَ الأُمَمِ؛ لتثبيتِ الصَّلاحِ ودَفْعِ الفَسادِ، فكما كانَتْ هذهِ السُّنَّةُ في أقْوامِ الأنْبياءِ السَّابقينَ المَنْصوصِ عَليهم في قَوْلِه تَعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: 251]، بَعدَ بيانِ قِصَّةِ طالوتَ واخْتِلافِ بَني إسرائيلَ في مُلْكِهِ عَلَيْهِم، وقَتْلِ داوُدَ جالوتَ، وإيتائِهِ المُلْكَ والنُّبُوَّةَ، هيَ كذلكَ في أتْباعِ الرُّسُلِ، فقَولُه تَعالى في الآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ [البقرة: 252]، بَيانٌ لسُنَّةِ المُدافَعَةِ بَينَ النَّاسِ إثْرَ بَيانِ مِثالٍ عِياني، وقَولُه تَعالَى في الآيَةِ اللَّاحِقَةِ: ﴿۞تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾، بَيانٌ لاسْتِمْرارِ هَذِهِ السُّنَّةِ في أتْباعِ الرُّسُلِ، ومِنْ أُولئِكَ سَيِّدُ الخَلْقِ ﷺ ؛ ففيها أنَّ ما كانَ للأُمَمِ السَّابِقَةِ سَيكُونُ للَّاحِقين، فيَكونُ مَقصُودُ خِطابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ [البقرة: 252]، التَّنْبيهَ على ما سَيكونُ في قابِلِ الأيَّامِ لأُمَّتِه، وهذا مَعْنى ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ [البقرة: 252] أيْ: حالُك كحالِ جَميعِ المُرسَلين، فما كانَ لأتباعِهم سَيكونُ لأتْباعِكَ، وفيها إشارَةٌ إلى أنَّ اللهَ تَعالى مِنْ سُنَّتِه أنْ يَجْعَلَ العاقِبَةَ للمُؤمِنينَ، فهيَ بِشارَةٌ لهذهِ الأُمَّةِ، فكَما كانَتِ العاقِبَةُ لداودَ عليه السلام؛ نُبُوَّةً ومُلْكًا وعِلْمًا، فسَتَكونُ لهذهِ الأُمَّةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَرَفَعَ﴾: الرَّفْعُ يُسْتَعْمَلُ في القُرْآنِ لعِدَّةِ مَعانٍ، فيُقالُ في الأجْسامِ المَوْضوعَةِ إذا أُعْلِيَتْ عَن مَقَرِّها، نَحْو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63]، وفي البِناءِ إذا طُوِّلَ، نَحْوَ قَوْلِه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: 127]، وفي الذِّكْرِ إذا نُوِّهَ به، نَحْوَ قَوْلِه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 4]، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الاسْتِعْمالاتِ، والرَّفْعُ في هذه الآيةِ لِتَشريفِ المَنْزِلَةِ[1]، وهوَ نَقيضُ الذِّلّةِ والوَضْعِ[2].

2) ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيْناهُ وَشَدَدْناهُ وأَعَنَّاهُ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الأَيْدِ، وهيَ الشِّدَّةُ والقُوَّةُ، والتَّأييدُ: مَصْدَرُ أَيَّدْتُهُ، أيْ: قَوَّيْتُهُ، والتَّعْبيرُ بالأَيْدِ دونَ القُوَّةِ؛ لأَنَّ الأَيْدَ هيَ القُوَّةُ الشَّديدَةُ[3]، فالإيادُ: الجَبَلُ الحَصينُ، وتُفيدُ مَعْنى الإحاطَةِ الواقِيَةِ مِنَ الفَسادِ، فإيادُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يُقَوَّى بِهِ مِنْ جَانِبَيْهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ كانَ واقِيًا لشَيْءٍ فهُوَ إيادٌ، وَالإِيَادُ: التُّرَابُ يُجْعَلُ حَوْلَ الحَوْضِ والخِباءِ، يُقَوَّى بِهِ، أَوْ يَمْنَعُ ماءَ المَطَرِ[4].

3) ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: أَصْلُ الرُّوحِ يَدُلُّ عَلى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ واطِّرادٍ[5]، والرُّوحُ المُقَدَّسَةُ أَي: الرُّوحُ المُطَهَّرَةُ، وَهُوَ جِبْريلُ عليه السلام، كما تَقولُ: حاتمُ الجودِ، ووَصَفَها بالقُدُسِ للكَرامَةِ[6]، وسَمَّى اللّه تَعالى جِبْريلَ روحًا؛ فلَمْ يَقُلْ: (جبريل)؛ لِسَبَبَيْنِ اثنَيْنِ: الأَوَّلُ: أَنَّهُ كانَ بِتَكْوينِ اللّهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ[7]، الثَّاني: لتَشْبيهِ جِبْريلَ عليه السلام بِرُوحِ الإنْسانِ؛ فهُوَ سَبَبٌ لِحَياةِ القُلوبِ بِالعُلومِ[8]، وَهُوَ سَبَبٌ قائِمٌ عَلى التَّشْبيهِ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَيَانُ فَضيلَةِ عُمومِ الرُّسُلِ؛ بحسب ما منَّ اللّه به عليهم، وبما خصَّهم اللّه به من بين سائر الناس باصطفائهم وإيحائه إليهم، وإرسالهم إلى الناس، ودعائهم الخلق إلى

(1) الراغب، المفردات: (رفع).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس: (رفع).
(3) الراغب، المفردات: (أيد).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (أيد)، وابن جرير، جامع البيان: 5/379، والزجاج، معاني القرآن: 1/168.
(5) ابن فارس، المقاييس: (روح).
(6) الزمخشري، الكشاف: 1/162.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 2/322.
(8) الرازي، مفاتيح الغيب: 3/596.

اللّه، وَبيانُ تَفْضيلِ بَعْضِهم عَلى بَعْضٍ؛ بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة، والأفعال السديدة، والنفع العام، فَلَمَّا ثَبَتَ تَفْضيلُ بَعْضِهم ثَبَتَ فَضْلُ جَميعِهم، وَقَسَّمَتِ الآيَةُ التَّفْضيلَ إلى ثَلاثَةِ أَقْسام: التَّفضيلُ النَّوْعِيُّ، وهُوَ تَفْضيلُ تَكْليم بَعْضِ الرُّسُل، وَيَدْخُلُ موسَى عليه السلام دُخولًا أَوَّلِيًّا، وَالتَّفضيلُ العامُّ، وَهُوَ رَفْعُ بَعْضِ الرُّسُلِ دَرَجاتٍ، وَيَدْخُلُ في ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ دُخولًا أَوّلِيًّا؛ لِرَفْعِهِ على سائرهم درجات، إذ اجتمع فيه من الفضائل ما تفرَّق في غيره، وجمع اللّه له من المناقب ما فاق به الأولين والآخرين، وبعموم رسالته، وخَتْم النبوة به، وتفضيلِ أمته على جميع الأمم، وغير ذلك، وَالتَّفْضيلُ المُعَيَّنُ، وَهُوَ تَفْضيلُ عيسَى عليه السلام بِإيتَائِهِ البَيِّنات، كإبراء مَن وُلد أعمى بإذن اللّه تعالى، ومَن به برص بإذن اللّه، وكإحيائه الموتى بإذن اللّه، وَتَأْييدِهِ بجبريل عليه السلام.

وَبَعْدَ بَيانِ فَضيلَةِ الرُّسُلِ، شَرَعَ في بَيانِ تَقاتُلِ أَتْباعِهِمْ مِن بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاجتماع على الإيمان - بَعْدَ انْقِسامِهِم إلى مُؤْمِنٍ وكافِرٍ -، فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة، وعَلَّقَ ذَلِك بِمَشيئَتِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى، تَحْذيرًا لأَتْباعِ الرُّسُلِ مِنَ الحِيادِ عَنِ الجادَّةِ، وَأَنَّ الثَّباتَ عَلَيْها بِإرادَتِه سُبْحانَهُ وَتَعالَى، فمشيئة اللّه نافذة غالبة للأسباب، وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة، فإذا وجدت اضمحل كلُّ سبب، وزال كل موجب، ولكنَّ اللّه يوفق مَن يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل مَن يشاء، فيعصيه ويكفر به، فهو يفعل ما يشاء ويختار[1].

وفي الآية تَمْهيدٌ للأَمْرِ بالإنْفاقِ الآتي في الآيَةِ اللّاحِقَةِ، فَإِنَّ مِنْ مُقْتَضى الإيمانِ بالرُّسُلِ الإنْفاقَ في سَبيلِ دَعْوَتِهِم.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَديعُ اسْتِعْمالِ اسْمِ الإشارَةِ:

الابْتِداءُ باسْم الإشارَةِ ﴿*تِلْكَ﴾ الدَّالِّ عَلى مَعْنَى البُعْدِ، لِلْإيذانِ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ: الأَوَّلُ: لبَيانِ عُلُوِّ طَبَقَتِهِمْ، وبُعْدِ مَنْزِلَتِهِم[2]، والثَّاني: "للدَّلالَةِ عَلى الاسْتِحْضارِ حَتَّى كَأَنَّ جَماعَةَ الرُّسُلِ حاضِرَةٌ للسَّامِعِ بَعْدَ ما مَرَّ مِنْ ذِكْرِ عَجيبِ أَحْوالِ بَعْضِهِمْ، وَما

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 42، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 42.
(2) أبو السعود، إرشادُ العقلِ السليم: 1/246.

أَعْقَبَهُ مِنْ ذِكْرِهِمْ عَلى سَبيلِ الإِجْمَالِ"[1]، فهِيَ إِشارَةٌ إِلى كَمالِ الرُّسُلِ وعُلُوِّ شَأْنِهِم مِن جِهَةٍ، وأَنَّهُمْ حاضِرونَ بِما أُخْبِرَ عَنْهُمْ في الآياتِ السَّابِقَةِ للسَّامِعِ عُمُومًا عَلى قَوْلٍ، أَو في آخِرِ الآيَةِ السَّابِقَةِ خُصوصًا عَلى قَوْلٍ آخَرَ[2]، فهُمْ في عُلوِّ شَأْنٍ، وقُرْبِ ذِكْرٍ، وهَذا مِنْ بَديعِ مَحاسِنِ الإِشارَةِ في القُرْآنِ الكَريمِ، أَنْ يَجْتَمِعَ مُتَقابِلانِ في دَلالَةِ اسْمِ الإِشارَةِ.

اجْتِماعُ مَعْنَيَيْ عُلُوِّ الشَّأْنِ وقُرْبِ الذِّكْرِ المُتَقابِلَيْنِ في اسْمِ الإِشارَةِ

دِقَّةُ الاخْتِيارِ تُجَلِّي بَرَاعَةَ المَطْلَعِ وسِرَّ العُدولِ:

التَّناسُبُ البَديعُ بَيْنَ المَطالِعِ، وتَأْكيدُ الوَحْدَةِ بَيْنَ الرُّسُلِ

لانْتِقاءِ اسْمِ الإِشارَةِ ﴿*تِلْكَ﴾ بَراعَةُ مَطْلَعٍ، وحُسْنُ اسْتِهْلالٍ؛ فَلَمْ يَقُلْ: (أولئِكَ)، مَعَ أَنَّ مُقْتَضى الظَّاهِرِ، ومُقْتَضى التَّذْكيرِ اللَّفْظِيِّ الإِشارَةُ بِأُولَئِكَ؛ كما جاءَ في قَوْلِه تَعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90]، فعَدَلَ عَنِ اسْمِ الإِشارَةِ (أُولئِكَ) إِلى اسْمِ الإِشارَةِ ﴿*تِلْكَ﴾، وَذَلِكَ لسَبَبَيْنِ:

الأَوَّلُ: مُطابَقَةُ مَطْلَعِ الآيَةِ للآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ [البقرة: 252]، وفي ذَلِكَ إِشارَةٌ إِلى تَنْزيلِ الرُّسُلِ مَنْزِلَةَ الآياتِ المَتْلُوَّةِ عَلى سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ ﷺ، وهَذا في غايَةِ الجَمالِ والبَراعَةِ.

الثَّاني: مُعامَلَةُ الرُّسُلِ مُعامَلَةَ الجَماعَةِ، كَأَنَّهُ قيلَ: تِلْكَ الجَماعَةُ الرُّسُلُ[3]، تَأْكيدًا لمَبْدَأِ الوَحْدَةِ بَيْنَهُم، وهوَ ما يُناسِبُ فاصِلَةَ الآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾ [البقرة: 252].

والأَنْسَبُ لهَذا التَّوْجيهِ أَنْ يَكونَ إِعْرابُ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ عَطْفَ بَيانٍ[4]، فلَفْظُ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ بَيَّنَ مَعْنى الإِشارَةِ، فاسْمُ الإِشارَةِ مُبْهَمٌ[5] مُجْمَلٌ،

(1) ابنُ عاشور، التحريرُ والتنويرُ: 3/5.
(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 3/4.
(3) الزَّجّاج، معاني القرآن: 1/333، والزَّمَخشَري، الكشَّاف: 1/297، والرَّازي، مفاتيح الغيب: 6/521.
(4) مكي، مشكل إعراب القرآن: 1/136، وابنُ عَطيَّة، المُحرَّرُ الوجيز: 1/338.
(5) مكي، مشكل إعراب القرآن: 1/135.

و﴿ٱلرُّسُلُ﴾ مُبَيِّنٌ لَهُ، ويَكونُ خَبَرُ ﴿تِلْكَ﴾ هُوَ ﴿فَضَّلْنَا﴾، فالإِخْبارُ بالتَّفْضيلِ هوَ مَقْصودُ الابْتِداءِ وفائِدَتُهُ، وهوَ الأَنْسَبُ بسِياقِ الآيَةِ، إِذْ مَدْحُهُمْ قَدْ يَسْتَدْعي في الذِّهْنِ أَنَّهُمْ في رُتْبَةٍ واحِدَةٍ، فكانَ الإِخْبارُ بتَفْضيلِ بَعْضِهِمْ عَلى بَعْضٍ مِمَّا يَدْفَعُ هَذا الوَهْمَ.

مَعْنى اللَّامِ في ﴿ٱلرُّسُلُ﴾:

مَعْنى اللَّامِ الاِسْتِغْراق، أو العهد ليشمل الجماعةَ المذكورةَ قَصَصُها في القرآنِ

﴿ٱلرُّسُلُ﴾ جَمْعُ رَسولٍ، وَاللَّامُ في ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ للاِسْتِغْراقِ[1]، وهوَ ما يَقْتَضيهِ الظَّاهِرُ، واسْمُ الإِشارَةِ الدَّالُّ عَلى جَماعَةِ الرُّسُلِ، وَقيلَ: إِنَّها لِلْعَهْدِ، عَلى أَنْ تَكونَ للجَماعَةِ المَعْلومَةِ لَهُ ﷺ ، أوِ المَذْكورَةِ قِصَصُها في السُّورَةِ[2]، ويكونُ العَهْدُ ذِهْنِيًّا عَلى الاِحْتِمالِ الأَوَّلِ، وذِكْرِيًّا عَلى الاِحْتِمالِ الثَّاني.

بيان الفَرْقِ بَيْنَ صيغَتي الجَمْعِ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾، و﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

غالِبُ اسْتِعْمالِ جَمْعِ الرُّسُلِ في القُرْآنِ بالاِعْتِبارِ الوَصْفِيِّ، بخِلافِ جَمْعِ المُرْسَلينَ، فهو بالاِعْتِبارِ الوَظيفِيِّ

اخْتيرَ في النَّظْمِ اسْتِعْمالُ صيغَةِ جَمْعِ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ دُونَ صيغَةِ جَمْعِ اسمِ المَفْعُولِ (المُرْسَلين) - الَّذي تَقْتَضيهِ صَنْعَةُ اللفظِ، فهو فاصِلَةُ الآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢﴾ -؛ لأَنَّ سِياقَ الآيَةِ حَديثٌ عَنْهُم باعْتِبارِ المُفاضَلَةِ فيما بَيْنَهُم، لا باعْتِبارِ وَظيفَتِهِم بأَنَّهُم مُرْسَلُونَ لأَقْوامِهِم، وغالِبُ اسْتِعمالِ القُرآنِ لِصيغَةِ جَمْعِ (الرُّسُلِ) هوَ بالاعْتِبارِ الوَصْفِيِّ، لا بالاعْتِبارِ الوَظيفيِّ، مِثْلَ قَولِه تَعالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144]، وقد اجتَمَعتِ الكَلِمتانِ في قولِه تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٤﴾ [الأنعام: 34]، فدَلَّت كَلِمَةُ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ على جماعَةِ الرُّسُلِ باعتبارِ الوَصْفِ، كما أنَّ كلمةَ المُرسَلين دَلَّتْ على وَظيفَتِهِمُ الدَّعَويّةِ، أيْ: جَاءَكَ مِن نَبَئِهِم في دَعوَتِهِم لِقَومِهِم، فسَيَكُونُ لَكَ مَا كانَ لَهُم.

(1) الآلوسي، رُوحُ المَعاني: 3/2.
(2) الآلوسي، روحُ المَعاني: 3/2.

وفَائِدَةٌ أُخرَى: أَنَّ (رَسُولَ) في الاسْتِعمالِ القُرآني يُطلَقُ على الملائِكةِ والبَشَرِ، فهوَ أَعَمُّ مِن (مُرْسَل)؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: 75]، وقَالَ: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ [فاطر: 1]، أمَّا (المُرسَلُون) فلا تُطلَقُ إلا عَلى البَشَرِ تَحديدًا.

دِقَّةُ اخْتِيارِ لَفْظَيْ (فَضَّلْنَا) وَ (بَعْضٍ):

أَخْبَرَتِ الآيَةُ بِالمفَاضَلَةِ بَينَ الرُّسُلِ ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾، وهوَ تَفضيلُ بَعْضِهِم بِمَنقَبَةٍ لَيْسَتْ لِبَعْضِهِم الآخَرِ[1]، وفُضِّلَ لَفْظُ التَّفضِيلِ على غَيرِهِ؛ كالاصْطِفاءِ، والاختِيارِ، فلمْ يَقُلْ: (اصْطَفَيْنَا بَعْضَهُم على بَعْضٍ)، أوِ (اخْتَرنَا بَعْضَهُم عَلى بَعْضٍ)، كما قَالَ في شأْنِ بَنِي إسرائِيلَ: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ [الدخان: 32]، وذلكَ أَنَّ التَّفضِيلَ يُشْعِرُ بالاشتِراكِ في أَصْلِ الرِّسَالةِ، وأَنَّه كانَ لأَمْرٍ زائِدٍ، فهو تَفضِيلٌ نِسْبِيٌّ لا مُطلَقٌ، إذْ تَدُلُّ مادَّةُ (فضل) في اللُّغَةِ على "زِيَادةٍ مِنْ مَادَّةِ الشيءِ مُتَمَيِّزَةٍ عَنْهُ"[2]، وتَفضيلُ بَعْضِ الرُّسُلِ عَلى بَعْضٍ يَدُلُّ على أَمْرَينِ؛ الأَوَّلُ: الاشتِراكُ في الفَضِيلَةِ العُظْمى وهي الرِّسَالةُ، الثَّاني: تَمَيُّزُ بَعْضِهم في بَعْضِ الصِّفاتِ على بَعْضٍ، بِخلافِ لَفْظِ الاصْطِفاءِ فَيَدُلُّ على انْتِقاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، فالمُصْطَفى هوَ الصَّافي مِنَ الأَكْدَارِ[3]، وَهذا المَعْنى غَيْرُ مُرادٍ في المُفاضَلَةِ بَيْنَ الرُّسُلِ فيمَا بَيْنَهم.

بَيانُ أَنَّ المُفاضَلَةَ بَينَ الرُّسُلِ مُفاضَلَةٌ نِسْبِيَّةٌ لا مُطلَقَةٌ، وإِجمالِيَّةٌ لا تَفصِيلِيَّةٌ

وانْتِقاءُ لَفْظِ بَعْضٍ في قَوْلِهِ: ﴿بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾، لِلنَّأْيِ عَنِ التَّحدِيدِ، وذلكَ في الجُملَةِ دُونَ تَعْيِينِ مَفْضولٍ[4]، وفي هذا الإِجْمالِ اكْتِفاءٌ بتَفْضِيلِ اللهِ بَعْضَ الرُّسُلِ عَلى بَعْضٍ، دونَ الخَوْضِ

في لفظ (بعض) نأيٌ عن تحديد المفضول، وتعيينه

(1) الآلوسي، رُوحُ المَعاني: 3/2.
(2) جَبَل، المُعجَمُ الاشتِقاقي المُؤَصَّل: (فضل).
(3) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 1/399.
(4) ابنُ عَطيَّة، المُحرَّرُ الوجيز: 1/338.

في التَّفاصيلِ، فإنَّ التَّعْبيرَ القُرْآنيَّ لَهُ دَلالَتُهُ البَيانِيّةُ، وإشارَتُهُ المَعْنَويّةُ المُرادَةُ.

بَلاغَةُ إسْنادِ الفِعْلِ لضَميرِ العَظَمَةِ:

بَـيـانُ أنَّ مَـنْ أرسَـلَ فَـضَّـلَ، فلَيسَ للأَتْباعِ إلَّا الاتِّباعُ

وأُسنِدَ فِعْلُ التَّفْضيلِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ ﴿فَضَّلْنَا﴾ فلَم يَقُلْ: (فُضِّلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ) لِمَا فيهِ مِنْ مَزيدِ التَّشْريفِ والتَّفْخيمِ، وأَنَّ تَفضيلَ بَعْضِهِمْ عَلى بَعْضٍ ما كانَ إلَّا بِسابِقِ عِلْمِهِ وحِكْمَتِه، واسْتُعمِلَ حَرْفُ ﴿عَلَىٰ﴾ للاسْتِعْلاءِ المَعْنَوِيِّ[1]، ومُقْتَضاهُ التَّسْليمُ لإرادَةِ المُفَضِّلِ جَلَّ في عُلاه؛ لدَفْعِ مُشاغَبَةِ الأَتْباعِ، وإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِم، فكَأَنَّهُ قالَ: إنَّ مَنْ أَرْسَلَ فَضَّلَ، فلَيْسَ للأَتْباعِ إلَّا الاتِّباعُ.

سِرُّ الابْتِداءِ بأَفْضَلِيَّةِ التَّكْليمِ، وبحَرْفِ (مِنْ) دونَ (بَعْضٍ):

تَـفْـخـيـمُ أَمْـرِ الـرُّسُـلِ الَّـذيـنَ كُلِّموا، وللإيجازِ اللَّفْظِيِّ

ابْتَدَأَ تَقْسيمَ التَّفضيلِ بمَنْ كلَّمَهُ اللهُ؛ لتَفْخيمِ أَمْرِهِ، وأَنَّهُ صاحِبُ مَنْزِلَةٍ عاليَةٍ ودَرَجَةٍ عَظيمَةٍ، وابْتَدَأَ بـ (مِنْ) الدَّالَّةِ عَلى التَّبعيضِ[2]، فكَأَنَّهُ قالَ: (بَعْضُهُم مَنْ كَلَّمَ اللهُ)، لَكِنْ لا مِنْ جَعْلِ (بَعْضٍ) رَديفَةً لِـ (مِنْ)، وإنَّما مِنْ مَعْنَى الكَلامِ[3]، ولذَلِكَ آثَرَ حَرْفَ الجَرِّ لِحُسنِ الابْتِداءِ بِهِ، إذ هوَ مَبدَأُ تَقْسيمِ أَنْواعِ التَّفْضيلِ، فهُوَ دالٌّ عَلى ابْتِداءِ التَّفضيلِ والتَّبْعيضِ، ولَمْ تَأْتِ هَذِهِ الجُمْلَةُ كلاحِقَتِها: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، كَأَنْ يَقولَ: (كَلَّمَ اللهُ بَعْضَهُم)، لتَفْويتِها بَلاغَةَ الجُمْلَةِ الاسْمِيَةِ كَما سَيَأْتي.

فائِدَةُ الالْتِفاتِ من التكلّم إلى الغيبة:

فائِدَةُ الالْتِفاتِ تَفْخيمُ التَّكْليمِ

قَوْلُه تعالَى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فيهِ التِفاتٌ وإظْهارُ ما حَقُّهُ الإضْمارُ، وهُما في هذِهِ الآيةِ مُتَلازِمان، أَمَّا الالتِفاتُ فهُوَ التِفاتٌ

(1) ابنُ مالِك، شرح تسهيل الفوائد: 3/162.

(2) عَلامَتُها عِندَ النُّحاةِ جَوازُ الاسْتِغناءِ عَنْهَا بكلمة "بعض"، وَزَعَمَ ابنُ عصفورٍ أَنَّكَ لو جَعَلتَ مكان: (مِنْ) كلمة: (بعضٍ) لكان المعنى واحِدًا، وكَلامُه صحيحٌ نحوًا ولغةً، لا بيانًا وإعجازًا، وقدِ اعْتُرِضَ عليهِ بكلامٍ بديعٍ دقيقٍ في التفريقِ بينَ الحرفِ والكلمةِ، يُنظر: أبو حيان، التذييل والتكميل: 11/122-123.

(3) ناظر الجيش، تمهيد القواعد: 6/2888.

عَنِ التَّكَلُّمِ في ﴿فَضَّلْنَا﴾ إلى الغَيْبَةِ، وفائِدَتُه تَفْخيمُ التَّكليمِ، وهَذا سِرُّ الابْتِداءِ بِهِ.

سرّ إظْهارِ ما حَقُّهُ الإضْمارُ:

عَدَلَ النَّظْمُ الكَريمُ في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ "عَنِ الضَّميرِ إلى التَّعْبيرِ بالظَّاهِرِ، لتَفْخيمِ شَأْنِ هَذِهِ المَنْقَبَةِ"[1]، ولتَرْبِيَةِ المَهابَةِ في نُفوسِ المُخاطَبينَ[2]، وللعِنايَةِ بإبْرازِ مَعْنى الحُضورِ والخِطابِ مِنْهُ تَعالى للمُتَكَلِّمِ[3].

في الإظْهارِ تَرْبِيَةٌ للمَهابَةِ، وتَفْخيمٌ للمَنْقَبَةِ، وعِنايَةٌ بإبْرازِ مَعْنى الحُضورِ والخِطابِ مِنْهُ تَعالى للمُتَكَلِّمِ

تَوْجيهُ اختلاف إعْرابِ جملة ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾:

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ إمَّا أنْ يُحْمَلَ على الاسْتِئْنافِ، أوِ البَدَليّةِ[4]، فمَعْناهُ على الاسْتِئْنافِ: تَفْصيلُ أنْواعِ التَّفْضيلِ[5]، فالجُمْلَةُ لا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعْرابِ، وأمَّا حَمْلُهُ على البَدَليّةِ فمَعْناهُ الالْتِفاتُ جُمْلَةً إلى أنْواعِ التَّفْضيلِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وأنَّها مَقْصودُ الكَلامِ، والإعْرابانِ مُتَقارِبانِ في المَعْنى، إذِ التَّفْصيلُ مَقْصودُ الكَلامِ.

وجهـا الإعـراب على (الاسْتِئْنافِ، أوِ البَدَلِيّةِ) مُتَقارِبانِ؛ إذ تفْصيلُ أنْواعِ التَّفْضيلِ مَقْصودُ الكَلامِ

فائِدَةُ حَذْفِ المفعول:

حُذِفَ المَفْعولُ في قَوْلِهِ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، وهُوَ الضَّميرُ العائِدُ على المَوْصولِ[6]؛ لأنَّ مَبْنى الآيَةِ على الإجْمالِ، ولَوْ ذُكِرَ المَفْعولُ؛ لاكْتَسَبَ نَوْعَ تَعْيينٍ.

إيثارُ الحَذْفِ لابْتِناءِ الآيَةِ على الإجْمالِ، لا التعيين

سِرُّ التَّغايُرِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ الاسميّة، والفعليّة:

عَدَلَ أُسْلوبُ الكَلامِ في قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ عَنِ الجُمْلَةِ السَّابِقَةِ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فلَمْ يَقُلْ: (ومِنْهُم مَنْ رَفَعَهُ

(1) رضا، تفسير المنار: 3/4.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/246.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 2/600.
(4) السمين، الدُّرُ المصون: 2/536.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/246.
(6) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر: 1/207.

التَّعبيرُ بالإسميّةِ لثُبوتِ المنْقَبةِ الذَّاتيّةِ، وبالفِعليّةِ لبَيانِ تَجدُّدِ رَفْعِ الدَّرَجاتِ

دَرَجاتٍ)؛ لبَيانِ الفَرْقِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ، فالأُولَى جُمْلَةٌ اسْميّةٌ أَفادَتْ ثُبوتَ تِلْكَ المَنْقَبَةِ عَلى مَدارِ الزَّمانِ، وهيَ مَنْقَبَةٌ ذاتيّةٌ اتَّسَمَ صاحِبُها بالفَخامَةِ والتَّشْريفِ، والثَّانيَةُ فِعْليَّةٌ، أَفادَتْ تَجَدُّدَ أَمْرِها، مِنْ مِثْلِ قَوْلِه تَعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 4]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]، وهذا مِن رَفْعِ الدَّرَجاتِ المُتَجَدِّدَةِ عِنْدَ اللّهِ تَعالى.

نكتة إضمار اسم الله الأعظم:

وجه الإضمار دفع قُربِ التّكرار

جاءَت جُمْلَةُ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، "فِعْليّةً مُسْنَدَةً لضَميرِ اسْمِ اللّهِ، لا لَفْظِه، لقُرْبِه، إذْ لَوْ أُسْنِدَ إلى الظَّاهِرِ لَكانَ: (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهَ، وَرَفَعَ اللّهُ)، فَكانَ يَقْرُبُ التَّكْرارُ، فكانَ الإضْمارُ أَحْسَنَ"[1].

اتِّساقُ اخْتِيارِ لَفْظِ ﴿وَرَفَعَ﴾ مَعَ لَفْظِ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾:

دَلَّتْ كُلُّ مُفْرَدَةٍ عَلى رِفْعَةٍ وشَرَفٍ، فأَكَّدَتْ إحداهما الأُخْرَى، وهُوَ دليلُ اتِّساقِ المُفْرَداتِ القُرْآنيّةِ

يُسْتَعمَلُ الرَّفْعُ لتَشْريفِ المَنْزِلَةِ[2]، وهوَ نَقيضُ الذِّلّةِ والوَضْعِ[3]، فمَنْ رَفَعَهُ اللّه فهوَ صاحِبُ الشَّرَفِ المَرومِ، ومَا أَرْفَعَ التَّعْبيرَ بِـ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ في هَذا السِّياقِ! دونَ مُرادِفاتِها كمَنازِلَ، والفَرْقُ بَيْنَهُما أَنَّهُ إذا اعْتُبِرَ الصُّعودُ دُونَ الامْتِدادِ فهيَ الدَّرَجَةُ، ولذَلِك يُعَبَّرُ بها عَنِ المَنْزِلَةِ الرَّفيعَةِ[4]، فاجْتَمَعَ ذِكْرُ الرَّفْعِ والدَّرَجاتِ، بأَنْ دَلَّتْ كُلُّ مِنْهُما عَلى رِفْعَةٍ وشَرَفٍ، فأَكَّدَتْ كُلُّ مُفْرَدَةٍ مَعْنى الأُخْرى، ويُؤَكِّدُ هَذا المَعْنَى إعْرابُ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بأَنَّها مَنْصُوبَةٌ عَلى المَصْدَرِ؛ "لأَنَّها بِمَعْنى الرِّفْعَةِ؛ فَكَأَنَّهُ قالَ: ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ رَفَعاتٍ"[5]، وهوَ مِمَّا يُؤَكِّدُ اتِّساقَ المُفْرَداتِ في القُرْآنِ الكَريمِ، كَما أَنَّهُ دَلَّتْ مادَّةُ (درج) عَلى

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 2/602.
(2) الراغب، المفردات: (رفع).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس: (رفع).
(4) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (رفع).
(5) العكبري، التبيان: 1/201.

المُضِيّ والطَّيِّ[1]، وهذِهِ المَعاني مَلْحوظَةٌ في دَرَجاتِ الرُّسُلِ المُفَضَّلين، فَقَدْ مَضَوْا في دَرَجاتٍ - عَنْ سائِرِ الخَلْقِ - مَطْوِيٍّ ذِكْرُها عَلى سَبيلِ الإِجْمالِ، زِيادَةً في التَّفْخيمِ والتَّعْظيمِ، وهوَ مِمّا يَنْسَجِمُ مَعَ السِّياقِ.

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ:

وجـه اخـتـلاف التعبير؛ لتَبايُن حالِ الفَريقَيْن

سَبَبُ اخْتِلافِ التَّعْبيرِ بِـ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، المَنْظُومِ عَلى هذا المِنْوالِ المُخالِفِ لما جاءَتْ عَلَيْهِ آيَةُ الزُّخْرُفِ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: 32]؛ لتَبايُنِ حالِ الفَريقَيْن، فآيَةُ البَقَرَةِ في الرِّفْعَةِ الدِّينِيَّةِ، وآيَةُ الزُّخْرُفِ في الرِّفْعَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ واتِّضاعِها[2].

وجـه الاخـتـلاف الإشـــارةُ إلى رَفْـعِ دَرَجـاتِ الرُّسُلِ المُفَضَّلين وَلتَرْبِيَةِ نُفُوسِ المُخاطَبينَ عَلى الأَدَبِ مَعَهم

للتَّنْويهِ برَفْعِ دَرَجاتِ الرُّسُلِ المُفَضَّلين، مَعَ عَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلرَّسُلِ المَفْضُولين، وَلتَرْبِيَةِ نُفُوسِ المُخاطَبينَ عَلى الأَدَبِ مَعَ مَقامِ الرُّسُلِ.

بلاغة إبْهام المُكَلَّم والمَرْفوعِ دَرَجاتٍ:

اخْتَلَفَ المُفَسِّرونَ[3] في تَعْيينِ المُكَلَّمِ في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فَمِنْهُم مَنْ قَصَرَهُ عَلى موسَى عليه السلام، فهُوَ الأَشْهَرُ والأَعْرَفُ، ومِنْهُم مَنْ جَعَلَهُ في كُلِّ مَنْ كَلَّمَهُ اللهُ تَعالَى، واخْتَلَفوا في تَعْيينِ المَرْفوعِ دَرَجات، فَمِنْهُم مَنْ خَصَّهُ بِسَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ، ومِنْهُم مَنْ جَعَلَهُ عامًّا في كُلِّ مَن اخْتَصَّ بِفَضيلَةٍ، فَمَنْ ذَهَبَ إلى تَعْيينِ المُبْهَمِ؛ عَلَّلَ الإِبْهامَ بِأَنَّهُ "لتَفْخيمِ شَأْنِه، كَأَنَّهُ العَلَمُ المُتَعَيِّنُ لهَذا الوَصْفِ المُسْتَغْني عَنِ التَّعْيين"[4].

الإبْهامُ أَبْلَغُ مِنَ التَعْيينِ، وأَعَمُّ دَلالَـةً، وأَقْـوى إشـارَةً، وأَمْـتَنُ مَدْحًا، وأَرْسَـخُ أَثَـرًا في نُـفوسِ المُـخـاطَـبـينَ للرُّسُلِ المُفَضَّلين

والَّذي يَقْتَضيهِ النَّظْمُ والسِّياقُ أَنّ الإِبْهامَ مَقْصودُ النَّصِّ، فاسْمُ الإِشارَةِ، واسْتِغْراقُ لَفْظِ الرُّسُلِ المُشارِ إِلَيْهِم - عَلى ما اسْتُظْهِرَ آنِفًا -، ولَفْظُ ﴿بَعْضَهُمْ﴾ و﴿مِّنْهُم﴾ الدَّالُّ عَلى التَّبْعيضِ، وحَذْفُ المَفْعولِ الدَّالِّ عَلى المُكَلَّمِ، وخُلُوُّ الكَلامِ مِنْ أَيِّ إِشارَةٍ لَفْظِيَّةٍ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، المقاييس: (درج).
(2) الفارسي، الحجة: 3/336.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 2/4.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/153.

أَوْ سِياقِيّةٍ تَدُلُّ عَلى التَّعْيين، وتَعْيينُ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام في الجُمْلَةِ التَّالِيَةِ، كُلُّ ذَلِك يَدُلُّ عَلى أَنَّ الإِبْهامَ مُرادٌ، وما تَقْضي بِهِ بَلاغَةُ النَّظْمِ أَنْ يَكونَ المُرادُ غَيْرَ مُعَيَّنٍ، فكُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللهُ تَعالَى، وكُلُّ مَنْ رَفَعَهُ دَرَجاتٍ، دَاخِلٌ في التَّفْضيلِ - مِمّن عَلِمْنا ومَنْ لَم نَعْلَم -، وهُمْ عَلى دَرَجاتٍ كَذَلِك في المُفاضَلَةِ فيمَا بَيْنَهُم، إذِ الإِبْهامُ أَعَمُّ دَلالَةً، وأَقْوى إِشارَةً، وأَمْتَنُ مَدْحًا، وأَرْسَخُ أَثَرًا في نُفوسِ المُخاطَبينَ للرُّسُلِ المُفَضَّلين.

مدح المواجهة هجاء، والثناء في الوجه قبيح، والإطراء مظنّة الغفلة، والممدوح مستغنى به عن ذكره

وُجِّهَ قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ على أنه إشارة إلى النبيّ ﷺ. ولَمْ يُصرّح بذكره أو بوصفه، كما فعل بموسى وعيسى عليهما السلام؛ لأنّ مورد كلام الله تعالى مورد خطاب الناس فيما بينهم، وهو ما يُستحسن فيه في بعض المواضع أن يُذْكَرَ الممدوحُ المخاطبُ تعريضاً، فيكون أبلغ من التصريح لما جرى من عادتهم أن مدح المواجهة هجاء، والثناء في الوجه قبيح، أو لأن الإطراء قد يدعو إلى الغفلة، أو لكون الممدوح بذلك المدح مستغنى به عن ذكره[1].

بَلاغَةُ الالتِفاتِ والانْتِقالِ مِنَ الإِبْهامِ إلى التَّعْيين:

المناسبة بين الغيبة والمبهم تفضيلهم، والتكلّم والمعيّن ذكره، ونكتة التعيين ردّ الغلوّ في شأنه

جاءَتْ جُمْلَةُ ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ "فِعْلِيّةً مُسْنَدَةً لضَميرِ المُتَكَلِّم عَلى سَبيلِ الالْتِفات، إِذْ قَبْلَهُ غائِبٌ، وَكُلُّ هَذا يَدُلُّ عَلى التَّوَسُّعِ في أَفانينِ البَلاغَةِ وَأَساليبِ الفَصاحَةِ"[2]، وحَسُنَ الالْتِفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّم، كَما حَسُنَ الانْتِقالُ مِنْ إِبْهامِ المُكَلَّم والمَرْفوعِ دَرَجاتٍ إلى تَعْيينِ مَنْ آتاهُ اللهُ البَيِّناتِ وَأَيَّدَهُ بِروحِ القُدُس، وهُوَ عيسى عليه السلام، فناسَبَ الإِبْهامَ الغَيْبَةُ، كَما حَسُنَ مَعَ التَّعْيينِ التَّكَلُّمُ.

(1) الراغب، تفسير الراغب: 1/517.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 2/602.

نُكْتَةُ تَعْيينِ اسْمِ عيسَى عليه السلام وأُمِّهِ:

نُـكْـتَـةُ تَـعْـيـيـنِ الاسْمِ الرَّدُّ عَلى أَهْـلِ الـكِـتـابَـيْنِ تَـفْـريـطَـهُـمْ في إِنْـكـارِ رِسـالَـتِـهِ وإِفْـراطَـهُـمْ فِي أُلوهِيَّتِهِ

وعُيِّنَ اسْمُ عيسى عليه السلام، مَعَ أَنَّ سائِرَ الرُّسُلِ أُيِّدوا بالبَيِّناتِ وبِروحِ القُدُسِ، أَنَّ ما آتاه اللهُ لَمّا كانَ مُشْتَرَكًا كانَ ذِكْرُهُ بِالإِبْهامِ غَيْرَ صَريحٍ في كَوْنِهِ مِمَّنْ فُضِّلَ بِهِ[1]، وَ"لرَدِّ ما بَيْنَ أَهْلِ الكِتابَيْنِ في شَأْنِهِ عليه السلام مِنَ التَّفْريطِ وَالإِفْراطِ"[2]، "فاليَهودُ أَنْكَروا رِسالَتَهُ ومُعْجِزاتِهِ، والنَّصارى غَلَوْا فزَعَموا أُلوهِيَّتَهُ، ولأَجْلِ هَذا ذُكِرَ مَعَهُ اسْمُ أُمِّه؛ للتَّنْبيهِ عَلى أَنَّ ابْنَ الإِنْسانِ لا يَكونُ إِلَهًا، وعَلى أَنَّ مَرْيَمَ أَمَةُ اللَّهِ تَعالى لا صاحِبَته؛ لأَنَّ العَرَبَ لا تَذْكُرُ أَسْماءَ نِسائِها وإِنَّما تَكْني، فيَقولونَ رَبَّةُ البَيْتِ، والأَهْلُ، ونَحْوَ ذَلِكَ ولا يَذْكُرونَ أَسْماءَ النِّساءِ إِلَّا في الغَزَلِ، أَوْ أَسْماءَ الإِماءِ"[3].

سِرُّ تَسْمِيَةِ جِبْريلَ بروحِ القُدُسِ:

وجْـهُ التّسمية بـروحِ الـقُـدُسِ؛ أَنَّـهُ روحٌ يَبْعَثُ الـحَـيـاةَ في القُلوبِ

معنى ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بالرُّوحِ المُقَدَّسَةِ أَي: الرُّوح المُطَهّرَة – وهوَ جِبْريلُ عليه السلام –، كما تَقولُ: حاتمُ الجودِ، ووَصَفَها بالقُدُسِ للكَرامَةِ[4]، وسَمَّى اللهُ تَعالَى جِبْريلَ روحًا؛ فلَمْ يَقُلْ:)جِبْريل(؛ لسَبَبَيْنِ اثْنَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّهُ كانَ بتَكْوينِ اللهِ لَهُ روحًا مِنْ عِنْدِهِ، مِنْ غَيْرِ وِلادَةِ والِدٍ ولَدَهُ، فسَمَّاهُ روحًا[5]، وهوَ سَبَبٌ حَقيقيٌّ.

الثَّاني: مِنْ حَيْثُ إِنَّ الرُّوحَ كما أَنَّهُ سَبَبٌ لحَياةِ الرَّجُلِ، فكَذَلِكَ جِبْريلُ عليه السلام سَبَبٌ لحَياةِ القُلوبِ بالعُلومِ[6]، وهُوَ سَبَبٌ قائِمٌ عَلى التَّشْبيهِ.

(1) رضا، تفسير المنار: 3/7.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/246.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/9.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/162.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/322.
(6) الرازي، مفاتيح الغيب: 3/596.

علّة إضافة الرّوح إلى القدس:

وأُضيفَ الرّوح إلى القُدُسِ؛ لأنَّه "يَنْزِلُ مِنَ اللّهِ تَعالى بالقُدُسِ، أَيْ: بِما يُطَهِّرُ بِهِ نُفوسَ عِبادِهِ مِنَ القُرْآنِ والحِكْمَةِ والفَيْضِ الإلَهِيِّ"[1]، فهُوَ يَبْعَثُ الحَياةَ في القُلوبِ، ويُطَهِّرُ النُّفوسَ، وهذا شَأْنُ الرُّسُلِ المُؤَيَّدينَ، أَنَّهُمْ أَحْياءٌ مُطَهَّرونَ، ومِنْ ثَمَّ هُم مُحْيُونَ غَيْرَهُمْ بالحِكْمَةِ، مُطَهِّرُونَ أَتْباعَهُمْ بالشَّريعَةِ.

وجه إضافة الرّوح إلى القُدُس؛ لأنَّهُ يُطَهِّرُ النُّفوسَ

فَنُّ التَّقابُلِ بَيْنَ الرُّسُلِ وأَتباعِهِمْ:

بَعْدَ بَيانِ تَفْضيلِ اللّهِ تَعالى بَعْضَ رُسُلِهِ؛ شَرَعَ في بَيانِ تَفْضيلِ بَعْضِ أَتْباعِ رُسُلِهِ؛ فَقالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، وأُسْلوبُ الآيَةِ قَريبٌ مِنْ فَنِّ التَّقابُلِ في عِلْمِ البَديعِ، فقابَلَ بَيْنَ الرُّسُلِ وأَتباعِهِمْ؛ لبَيانِ الفَرْقِ بَيْنَهُمْ، فالمُفاضَلَةُ بَيْنَ الرُّسُلِ حَقيقِيَّةٌ، إِذْ هِيَ بَيْنَ الفُضَلاءِ، أَمَّا الأَتْباعُ فَهُمْ ما بَيْنَ مُؤْمِنٍ وكافِرٍ، فالمُفاضَلَةُ مَجازِيَّةٌ، والتَّقابُلُ اعْتِبارِيٌّ[2]، وتَكْمُنُ بَلاغَةُ التَّقابُلِ في بَيانِ الفَرْقِ بَيْنَ صَفْوَةِ خَلْقِ اللّهِ المُخْتارينَ لحَمْلِ الرِّسالَةِ، وعُمومِ الخَلْقِ، فبَرَزَتْ فَضيلَةُ الرُّسُلِ عَلى عُمومِ الخَلْقِ.

وجه بلاغة التقابُلِ بَيانُ الفَرْقِ بَيْنَ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ، وعُمومِ الخَلْقِ، وإظْهارُ فَضيلَةِ الرُّسُلِ عَلى عُمومِ الخَلْقِ

نكتة حَذْفِ مَفْعولِ المَشيئَةِ:

مَفْعولُ المَشيئَةِ في قَوْلِه تَعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ مَحْذوفٌ تَقْديرُهُ: "لَوْ شاءَ اللّهُ عَدَمَ اقْتِتالِهِمْ ما اقْتَتَلوا؛ بأَنْ جَعَلَهُم مُتَّفِقينَ عَلى اتِّباعِ الرُّسُلِ المُتَّفِقَةِ عَلى كَلِمَةِ الحَقِّ . . لكَوْنِهِ مَضْمونَ الجَزاءِ"[3]، فالقاعِدَةُ أَنَّ مَفْعولَ المَشيئَةِ "إذا حَذَفْتَهُ بَعْدَ (لَوْ) فهوَ المَذْكورُ في جَوابِها أَبَدًا"[4]، وهيَ قاعِدَةٌ شِبْهُ مُطَّرِدَةٍ، والمَعْنى: "أَنَّ اللّهَ شاءَ اقْتِتالَهُمْ فاقْتَتَلوا، وشاءَ اخْتِلافَهُمْ فاخْتَلَفوا،

وجه الحذف تَنْويرُ الذِّهْنِ في تَقْديرِ المَحْذوفِ، ونُكْتَتُهُ أَنَّ المَشيءَ المَحْذوفَ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَكونَ حاضِرًا لَدى السّامِعِ

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (قدس).
(2) التفتازاني، المطول، ص: 653.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/246.
(4) السبكي، عروس الأفراح: 1/376.

والمَشيئَةُ هُنَا مَشيئَةُ تَكْوينٍ وتَقْديرٍ لا مَشيئَةُ الرِّضا؛ لأَنَّ الكَلامَ مَسوقٌ مَساقَ التَّمَنِّي للْجَوابِ والتَّحْسيرِ عَلى امْتِناعِهِ وانْتِفائِهِ المُفادِ بـ ﴿وَلَوْ﴾"[1]، والبَلاغَةُ في أَنْ يُجاءَ بِهِ كَذلِكَ مَحْذوفًا؛ لِعِلمِ السَّامِعِ أَنَّ المُتَكَلِّمَ قَدْ عَلَّقَ هَذِهِ المَشيئَةَ في المَعنى بشَيْءٍ، فهُوَ يَضَعُ في نَفْسِهِ أَنَّ هَهُنا شَيْئًا يَقْتَضي المُتَكَلِّمُ مَشيئَتَهُ لَهُ أَنْ يَكونَ أَوْ أَنْ لا يَكونَ[2]، وفائِدَتُهُ إِثارَةُ ذِهْنِ السَّامِعِ في تَقديرِ المَحْذوفِ لِيَتَجاوَبَ مَعَ النَّصِّ.

بَلاغَةُ الاسْتِدْراكِ بـ (لكنْ):

تَكْمُنُ بَلاغَةُ الإِسْتِدْراكِ في رَفْعِ مَفْهومِ الكَلامِ السَّابِقِ؛ لا لإِلْغائِهِ، بَلْ لِتَمَحُّضِهِ في بَيانِ عِلَّةِ الاقْتِتالِ

الاسْتِدراكُ هُوَ نِسْبَةُ حُكْمٍ يُخالِفُ المَحْكومَ عَلَيْهِ قَبْلَهُ[3]، واحتلَّ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ﴾ مَوْقِعًا بَديعًا، فهُوَ "واقِعٌ بَيْنَ ضِدَّيْنِ، إِذِ المَعْنى: ولَوْ شاءَ اللهُ الاتِّفاقَ لَاتَّفَقوا، ولَكِنْ شاءَ الاخْتِلافَ فاخْتَلَفوا"[4]فهُوَ "اسْتِدْراكٌ لِمَا دَلَّ الكَلامُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اقْتِتالَهُمْ كانَ مِنِ اخْتِلافِهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَ الاخْتِلافَ بقَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ والتَّقْديرُ: فاقْتَتَلوا"[5]. وتَكْمُنُ بَلاغَةُ الاسْتِدراكِ ههنا في رَفْعِ مَفْهومِ الكَلامِ السَّابِقِ، لَكِنَّهُ هُنا لا لإِلْغائِهِ، بَلْ لِبَيانِ تَمَحُّضِهِ في بَيانِ عِلَّةِ الاقْتِتالِ، وهِيَ الاخْتِلافُ إِيمانًا وكُفْرًا.

بَلاغَةُ تَقْديمِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾ عَلى ﴿مَّن كَفَرَ﴾:

أَفادَ تَقْديمُ المُؤمِنِ على الكافِرِ أنّ الإِيمانَ هُوَ أَصْلُ الفِطْرَةِ، وَالكُفْرُ طارِئٌ عَلَيْها

قُدِّمَ (من آمن) عَلى (من كفر) في قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾؛ لأَمْرَيْنِ وهُما: تَقْديمُ المُؤْمِنينَ؛ لأَنَّهُمْ أَتْباعُ الرُّسُلِ هُوَ الأَنْسَبُ بالسِّياقِ المُتَحَدِّثِ عَنْ تَفاضُلِ الرُّسُلِ، فهَذا سَبَبٌ سِياقِيٌّ، ولأَنَّ الإِيمانَ هُوَ أَصْلُ الفِطْرَةِ، وَالكُفْرُ طارِئٌ عَلَيْها، وهَذا سَبَبٌ جِبِلِّيٌّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/11.
(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 164.
(3) المرادي، الجنى الداني، ص: 615.
(4) السمين، الدر المصون: 2/537.
(5) العكبري، التبيان: 1/202.

وفائدة التقديم أيضًا أنَّ مَنْ كَفَرَ هُوَ سَبَبُ الاِخْتِلافِ المُؤَدِّي إلى الاِقْتِتالِ

وأَفادَ التَّقديمُ مَعَ مَجْموعِ السِّياقِ نُكْتَةً بَيانِيَّةً وهِيَ أَنَّ المُخالِفَ للأَصْلِ الطَّارِئَ هُوَ سَبَبُ الاِخْتِلافِ المُؤَدِّي إلى الاِقْتِتالِ، وأَنَّه لَو بَقِيَ عَلَى إيمانِهِ لَما اقْتَتَلَ الفَرِيقانِ.

بَلاغَةُ تكْرارِ جملة المشيئة:

فائِدَةُ التَّكْرارِ تَأْكيدُ الجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، والتَّمْهيدُ لِلَّاحِقَةِ

التَّكْرارُ الَّذي لا يُضيفُ فائِدةً مَعْنَوِيَّةً لا وُجودَ لَهُ في النَّظْمِ الكَريمِ، وإذا أُعيدَتْ أَلفاظٌ وجُمَلٌ إثْرَ أُخْرى مُشابِهَةٍ لها لَفْظًا فلَها مَقْصَدٌ بَيانيٌّ كإرادَةِ التَّأكيدِ والإفْهامِ[1]، وقَدْ أَفادَ تَكْرارُ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ التَّأْكيدَ[2]، والتَّمْهيدَ ليُبْنى عَلَيْهِ ما بَعْدَهُ[3]، وهَذا لَوْنٌ مِنْ أَلْوانِ الاِتِّساقِ المَتينِ بَيْنَ المَعاني.

وجه تناسب الكلام واقتران كلّه بشكله أنْ يَتْلُو ذِكْرَ تَعَلُّقِ المَشيئَةِ بالاِقْتِتالِ؛ عُمومُ تَعَلُّقِ المَشيئَةِ

وهُناكَ سِرٌّ أُسْلوبِيٌّ آخَرُ سِوى التَّأْكيدِ أَخَصُّ مِنْهُ، أَضافَهُ ابْنُ المُنَيِّرِ عَلى كَلامِ الزَّمَخْشَرِيِّ، وهُوَ "أَنَّ العَرَبَ مَتى بَنَتْ أَوَّلَ كَلامِها عَلى مَقْصَدٍ، ثُمَّ اعْتَرَضَها مَقْصَدٌ آخَرُ، وأَرادَتِ الرُّجوعَ إلى الأَوَّلِ، قَصَدَتْ ذِكْرَه إمَّا بتِلْكَ العِبارَةِ أَوْ بقَريبٍ مِنْها. وذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَهْيَعٌ مِنَ الفَصاحَةِ مَسلوكٌ، وطَريقٌ مُعَبَّدٌ. وهذِهِ الآيَةُ مِنْ هَذا النَّمَطِ، لَمَّا صُدِّرَ الكَلامُ بأَنَّ اقْتِتالَهُمْ كانَ عَلى وَفْقِ المَشيئَةِ، ثُمَّ طالَ الكَلامُ، وأُريدَ بَيانُ أَنَّ مَشيئَةَ اللهِ تَعالى كَما نَفَذَتْ في هَذا الأَمْرِ الخاصِّ - وهُوَ اقْتِتالُ هَؤُلاءِ - فهِيَ نافِذَةٌ في كُلِّ فِعْلٍ واقِعٍ، وهُوَ المَعْنَى المُعَبَّرُ عَنْهُ في قَوْلِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، طَرَأَ ذِكْرُ تَعَلُّقِ المَشيئَةِ بالاِقْتِتالِ؛ ليَتْلُوَهُ عُمومُ تَعَلُّقِ المَشيئَةِ؛ ليَتَناسَبَ الكَلامُ، ويُقْرَنَ كُلٌّ بشَكْلِه، فَهَذا سِرٌّ يَنْشَرِحُ لبَيانِهِ الصَّدْرُ، ويَرْتاحُ لَهُ السِّرُّ"[4].

بَلاغَةُ فنّ التَّصدير:

ناسَبَتْ فاصِلَةُ الآيَةِ النَّاصَّةُ عَلى عُمومِ الإرادَةِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 149.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/298.
(3) ابن جزي، التسهيل: 1/131، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/13.
(4) ابن المنير، الانتصاف: 1/298، والآلوسي، روح المعاني: 2/5.

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مَطْلَعَ الآيَةِ النَّاصَّ عَلى خُصوصِ إرادَةِ التَّفْضِيلِ، ففيهِ رَدُّ الفاصِلَةِ عَلى مَطْلَعِ الآيَةِ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ في عِلْمِ البَدِيعِ: التَّصْدِيرَ[1]، ونُكْتَتُه تَسْلِيمُ الأَمْرِ كُلِّهِ للّهِ فيما يُرِيدُ، مَعَ ما فيها مِنَ الاِسْتِدراكِ الدَّالِّ عَلى أَنَّ اصْطِفاءَ الرُّسُلِ، وَتَفضيلَ بَعْضِهِمْ عَلى بَعْضٍ، واقْتِتالَ النَّاسِ فيما بَيْنَهُم، مآلُهُ إلى إرادَتِه سُبْحانَهُ وتَعالى، ولَمَّا كانَتْ إرادَتُهُ عامَّةً في كُلِّ شَيْءٍ وَجَبَ حَذْفُ المَفْعولِ كَما يَقولُ البَيانِيُّونَ[2]، وهُوَ المُناسِبُ للسِّياقِ.

نُكْتَةُ رَدِّ الفاصِلَةِ عَلى مَطْلَعِ الآيَةِ؛ تَسْليمُ الأَمْرِ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ فيما يَفْعَلُ

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعْطاء:

نَلْحَظُ مِن خِلالِ تَدَبُّرِ اسْتِعْمالِ القُرْآنِ للَفْظَيِ الإيتاءِ والإعْطاءِ، أَنَّ الإيتاءَ خاصٌّ فيما يُنالُ في الدُّنْيا وهُوَ مُحَدَّدٌ مَعْلومٌ، والإعْطاءَ عامٌّ فيما يُنالُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ وهُوَ غَيْرُ مُحَدَّدٍ، فاسْتُعْمِلَ الإيتاءُ في إيتاءِ الزَّكاةِ، والآياتِ، والبَيِّناتِ، والحِكْمَةِ، والعِلْمِ، والإنْجيلِ، والزَّبورِ، والنُّبُوَّةِ، والمُلْكِ، وزُبرِ الحَديدِ، والأُكُلِ، والتَّقْوى، وهَذِهِ مُحَدَّدَةٌ مَعْلومَةٌ، وهِيَ خاصَّةٌ فيما يُنالُ في الدُّنْيا، أَمَّا الإعْطاءُ فاسْتُعْمِلَ في إعْطاءِ الكَوْثَرِ، والجَزاءِ في الجَنَّةِ، والرِّزْقِ، والجِزْيَةِ، وإعْطاءِ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وذُكِرَ فِعْلُ الإعْطاءِ دونَ مَفْعولٍ للإطْلاقِ، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: 5]، وقَوْلِه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: 5]، وهَذِهِ غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ، وتَكونُ عامَّةً في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

الإيتاءُ خاصٌّ فيما يُنالُ في الدُّنْيا وهوَ مُحَدَّدٌ مَعْلومٌ، والإعْطاءُ عامٌّ فيما يُنالُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وهُوَ غَيْرُ مُحَدَّدٍ

وَإذا قابَلْنا بَيْنَ الزَّكاةِ والجِزْيَةِ لتَقابُلِهِما مَثَلًا، نَجِدُ أَنَّ الزَّكاةَ مُحَدَّدٌ مِقْدارُها بِنِسْبَةٍ ثابِتَةٍ لا تَتَغَيَّرُ، أَمَّا الجِزْيَةُ فلَيْسَتْ مُحَدَّدَةً،

(1) ابن المعتز، البديع، ص: 140.
(2) الزركشي، البرهان: 2/396.

إِذْ هِيَ خاضِعَةٌ للسِّياسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، ويَتَغَيَّرُ مِقْدارُها بحَسَبِ التَّكْييفِ الفِقْهِيِّ، وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جاءَ عَلى اسْتِعْمالِ القُرْآنِ، إِذِ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مُحَدَّدَةٌ مَعْلُومَةٌ للمُخاطَبِ، وهِيَ تَشْمَلُ "المُعْجِزاتِ مِنْ إِحْياءِ المَوْتى ونَحْوِها والإِنْجيلَ؛ لأَنَّ المُعْجِزَ يُبَيِّنُ صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ كَما أَنَّ الإِنْجيلَ يُبَيِّنُ كَيْفِيَّةَ شَرِيعَتِهِ"[1].

التأييد والتقوية:

التَّأييدُ هُوَ التَّقويَةُ الشَّديدَةُ الواقِيَةُ مِنْ أَيِّ فَسادٍ يُهَدِّدُ المُؤَيَّدَ، وهوَ لَفْظٌ قُرْآنِيٌّ بَليغٌ لا يُؤَدِّي مَعْناهُ لَفْظُ التَّقويَةِ، ويَزْدادُ اسْتِعْمالُ هَذا اللَّفْظِ بَراعَةً أَنْ يَكونَ التَّأييدُ بِجِبْريلَ عليه السلام، ولأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك، لأنه هو الذي بشَّر مريم بولادته، وتولَّد عيسى بنفخه، وربَّاه في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حيث صعد إلى السماء[2]، وبِهِ يَظْهَرُ وَجْهُ تَفْضِيلِ عِيسَى عليه السلام بهذا التأييد.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 3/595.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 1/481.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»